فن الضيافة

كما هو وكما يجب أن يكون

كانت الضيافة فى مصر من عاداتنا القومية قبل أن يطغى علينا التيار العصرى ، فان لفظة " مندرة " هى تحريف كلمة " منظرة " أى الغرفة التى أعدت للانتظار ، والمعنى المقصود هنا انتظار الضيوف ، ولا يزال للنظرة شأنها فى قرى الريف إلى وقتنا هـذا حيث يجتمع الأصدقاء والمعارف والغرباء برب البيت .

ولكن التيار العصرى أشاع بيننا القهوات والحانات والأندية فجذبتنا من بيوتنا اليها ، وهذه الأماكن قد زادت الانفصال بين الجنسين ، لأن الرجل صار يفارق زوجته اليها حيث يجد خلانه من الرجال ، فى حين أن أسلافنا كانوا كثيرا ما يجعلون الاجتماع فى المنظرة اجتماعا عائليا لأن كثيرا من الضيوف كانوا من الأقارب الذين لم يكونوا يجدون حرجا فى الاختلاط ، ولذلك لانخطئ إذا قلنا إن الضيافة كانت قبل أربعين أو خمسين سنة تمارس فى مصر أكثر مما تمارس فى الوقت الحاضر ، وأننا نحن الرجال إذا كنا نكسب بالاختلاط بزملائنا من الرجال فى القهوة أو النادى فاننا بلا شك نخسر بحرماننا من ذلك الاختلاط العائلى الذى كان يعرفه أسلافنا فى المنظرة .

وليست سجية الكرم من السجايا التى تنقصنا . بل إذا كان هناك نقص فهو نقص الاسراف ، لأننا كثيرا ما نعقد الحفلات فننفق فيها ونتبذخ . وقد يقع أحدنا فى الديون المرهقة لأنه تحمل من كرم الضيافة ما لا يطيق فى ليلة زفاف أو أى احتفال آخر . ولكن هذا الكرم يخرج عن المعنى الذى نقصد ، لأننا نريد كرما متزنا يخدم الاجتماع دون أن يضر الفرد ، ويزيد الألفة والتحاب والتعارف بين الناس دون أن يتحمل من التكاليف مالا قبل لهم به .

وليست الضيافة مع ذلك طعاما أو شرابا . وإنما هى قبل كل شىء مؤانسة وتعارف يؤديان إلى زيادة النور والفهم والحب . ولذلك يجب ألا تكون ضيافتنا حفلات يتكدس فيها الطعام والشراب . لأن مثل هذا العمل يضطرنا بطبيعة ما ننفق عليه أن نقلل منه ، ونباعد بين فتراته فلا نستضيف الضيوف إلا مرة فى كل شهرين أو ثلاثة أشهر . ثم مثل هذه الحفلات

لوفرة ما ننفق عليها تجمع العدد الكبير من الضيوف الذين لا يتعارفون لكثرتهم التعارف الذى يعقد بينهم بأواصر الصداقة للمستقبل .

ولذلك يجب أن تكون ضيافاتنا قليلة الطعام والشراب تتكرر فى الفترات القصيرة مرة كل أسبوع مثلا . كما يجب أن يكون أساسها التعارف المفيد الذى يرقى بالأسرة رقيا اجتماعيا وثقافيا . وربة البيت هى بالطبع صاحبة الشأن الأول فى الضيافة . وقد تنشأ هنا عقدة وهى : هل تقوم ضيافتنا على الانفصال بين الجنسين أم الاختلاط ؟

ولكن حل هذه العقدة ليست لها قاعدة عامة تشمل جميع البيوت. وصحيح أن الاختلاط قد أصبح حقيقة واقعة لا يستطيع نكرانها أحد . ولكن أوساطنا الاجتماعية تختلف . فهذا بيت قد مرن على الاختلاط ونشأ فيه الأولاد كأنه الجو الطبيعى لهم لا يجدون فيه غرابة أو حرجا. وهذا بيت آخر لا يزال يتشبث بالانفصال . وثم ثالث قد أخذ ببعض الاختلاط . فلكل بيت قواعده وأساليبه فى هـــذا الموضوع . ومما لا نشك فيه أن الاختلاط رويدا رويدا يتغلب على الحجاب . ولذلك يحسن بنا أن ننظمه ونرعاه بالقواعد التى تصونه من الابتذال وتجنبه مهاوى الشطط . وليس من العقل والحكمة أن نتجاهله وهو يفشو فى أوساطنا. ووقت الضيافة فى بلادنا يجب أن يبدأ فى الخامسة مساء ، وقد يمتد إلى العاشرة . ففى هذا الحال لا يمكن أن نقنع بتقديم القهوة للضيوف كما يجب أن يكون أثاث الصالون بحيث يرتاح عليه القاعد الساعة أو الساعتين وليس هذا مع الأسف حال الأثاث فى معظم صالوناتنا . فإننا نضعها للبهرجة ونطلب فيها اللمعة والأبهة قبل أن نطلب الراحة . ولذلك تصطف الكراسى إلى جدران الغرفة ويبقى وسطها كأنه الفناء الخالى، مع أن الضيوف يحتاجون للسامرة فيجب أن تكون الكراسى قريبة بعضها من بعض ، كما يجب أن تكون خفيفة يسهل نقلها ووطيئة لكل منها مسند يستطيع القاعد أن يجد فيها راحته ولا يسأم أو يكل من قعدته .

وهناك من الضيوف من يؤثر القهوة على غيرها. ولكن إذا امتد الحديث ساعتين أو ثلاثا فان فنجانا واحدا من القهوة لا يفى بالضيافة . ثم هناك آخرون ممن لا يستمرئون القهوة . ولذلك يجب على ربة البيت التى تعين يوما فى الأسبوع لضيافتها أن تضع فى صالونها ثلاث موائد إحداها للقهوة مع اللبن والقليل من الكعك ، وأخرى للشاى ، وأخرى للأشربة الباردة المثلجة . وبالطبع يمكن أن يغير هذا الترتيب حتى يتفق وعدد الضيوف والاعتبارات الاقتصادية . فان الأسرة الغنية تستطيع أن تقدم المثلجات الغالية والأشربة المعطرة فى حين تقنع الأسرة الفقيرة بالشاى الساذج . ولكن يجب ألا ننسى أن امتداد السهرة يحتاج إلى قليل من الطعام على كل حال .

على أن الذى يجمع الضيوف ليس هو الطعام أو الشراب ، وإنما هو الرغبة فى المؤانسة والتعارف. وإذا ساد الصمت بين المجتمعين لقلة ما يحفزهم على الحديث فان وفرة الطعام لن تغنى

عن هذا الحرص الاجتماعى . ولذلك يجب أن تفكر ربة البيت فى موضوع المسامرة وأن تبقى متيقظة إلى إحيائها كلما رأت عليها أمارات الفتور أو الموت . كما عليها أن تجمع بين ضيوفها وتصل بينهم بالتعريف . ومما يكفل حياة الاجتماع فى الضيافة أن يهيأ موضوع للدرس كأن يكلف أحد الأشخاص التحدث إلى الحاضرين عن اختبار وقع له أو موضوع درسه أو حتى شرح كتاب حديث . فاذا ألقى كلمته أخذ الحاضرون فى مناقشته . وليس هذا العمل بالطبع ممكنا كل أسبوع ، ولكن يمكن الالتجاء اليه من وقت لآخر حتى يكتسب البيت سمعة من الرزانة والوقار .

وهناك كتب كثيرة فى فن الضيافة فى اللغات الأوربية . ولكنها وضعت لوسط يختلف بعض الشىء عن وسطنا ، ولذلك لا يمكن أن نعمل بها . على أن هذا لا يمنعنا من الانتفاع بها . وهذه الكتب ترشد ربة البيت الى السلوك الذى يجب أن يتخذ فى الضيافة وعن الأطعمة والأشربة وبعض المسليات التى يمكن ممارستها إذا فتر الحديث ونحو ذلك .

وحبذا الضيافة لو أن بيوتنا تعود كما كانت أيام جدودنا أماكن للؤانسة والمسامرة فنستغنى بها عن القهوة والنادى والحانة .

— الحكمة قوام الخير الخاص ، ودعامة الخير العام .

شوقى

— آلة الرياسة سعة الصدر .

— ازجر المسىء بثواب المحسن .

— اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

— من كفارات الذنوب إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب .

على بن أبى طالب